



بنية الفرق العسكرية للمقاومات الشعبية فرقة مسبلي مقاومة لالا فاطمة نسومر والشيخين المقراني والحداد أنموذجا

من إعداد: م م ش زغار محمد مختار
م و د ب ت ع ج

مقدمة:

هناك مواضيع عديدة مرتبطة بالتاريخ العسكري في فترة الثورات الشعبية، منها التي تناولت جيش الأمير عبد القادر، أو جيش أحمد باي، لكن من النادر جدا أن نجد دراسة تتطرق لبنية الفرق العسكرية التي شاركت في المقاومات الشعبية، لذلك سنحاول تسليط الضوء على هذه الفرق مع اخذ فرقة مسبلو منطقة القبائل كأمودج. وعلى هذا النحو نطرح إشكالية التالية : ما هي بنية الفرق العسكرية أثناء فترة المقاومات الشعبية؟ من هم المسبلون؟ وما هو دورهم في الثورات الشعبية بمنطقة القبائل؟.

1- بنية الفرق العسكرية للمقاومات الشعبية

بالجزائر اعتمد التنظيم العسكري الجزائري أثناء الثورات الشعبية على النظام القبلي فزعيم القبيلة هو القائد الروحي والعسكري لهاته القوات¹ التي تتشكل من الفرسان ، ثم المشاة الذين كان أغلبهم متطوعون يملكون السيوف التقليدية والبنادق و تنقصهم الخبرة العسكرية، عكس القوات الفرنسية المحترفة المدربة والمدججة بالأسلحة الثقيلة.

على عكس هذه الفرق غير النظامية اعتمد كل من الأمير عبد القادر² والحاج أحمد باي على جيوش نظامية مكونة من المتطوعين، الفرسان، والمشاة، وبعض الفرق الخاصة كفرقة الفدائية في جيش الأمير عبد القادر، حيث اعتمد عليهم في تنفيذ بعض العمليات الخاصة ذكرهم الناصري في شهادته³. كما تم تجنيد بعض الأجانب⁴ خاصة في سلاح المدفعية كالأسير البروسي فندلين شلوفر⁵.

كانت الفرق العسكرية في المقاومات الشعبية تتغير وتتغير حسب الظروف الطبيعية وصعوبة تضاريس المناطق التي عرفت، ففي ثورة الشيخ الشريف بوشوشة اعتمد هذا الأخير على فرقة المهارست⁶ أو راكبي الجمال في معاركه ضد الجيش الفرنسي بالصحراء الجزائرية.

أما فيما يخص هذا النوع من فرق الفداء، فقد اشتهرت بهم مقاومة الشيخ المقراني والحداد سنة 1871⁷، وكان يطلق عليهم اسم متطوعي الموت أو فرقة المسبلين.

2- التنظيم العسكري للمقاومات الشعبية من خلال مقاومة لالا فاطمة نسومر والشيخين المقراني والحداد

انفردت منطقة القبائل⁸ عن باقي مناطق الجزائر بتنظيم إداري وعسكري عشائري خاص عرف منذ القديم، إذ لم تحدد المصادر تاريخا معيناً لظهوره لكنها وفرت لنا بعض المعلومات المهمة عن هيكله السياسية والعسكرية، ففي هرم السلطة كانت هيئة «تاجماعت» أو الجماعة باللغة العربية بمثابة مجلس أعيان و حكماء المنطقة لا يعرف على وجه التحديد متى ظهرت هذه الهيئة، غير أن الاعتقاد السائد أنها نظام قديم يعود لقرون، حيث ذكرت المصادر الأجنبية القديمة اسم «الكانكوجنتيان»⁹ على سكان منطقة جرجرة وهي كنية أو صفة تطلق على مجموعة من خمس فرق أو قبائل أو هو اتحاد أعضائه ينتمون إلى أب أو جد واحد تشكل نتيجة رفض السكان التعامل مع مختلف المحتلين الذين تعاقبوا على الجزائر والمنطقة، برز دورها بشكل كبير في الفترة الاستعمارية 1830-1962، حيث انزوى سكان القبائل على أنفسهم في قراهم الجبلية ووضعوا قوانين عرفية سواء كانت اقتصادية سياسية أو



القرى و السكان فيجب على كل أمين قرية طاعة أوامر أمين الأمناء، كما يشرف على تسير الفصائل للمراكز المحددة لها مسبقا و يراقب الأسلحة والذخيرة، إذ يعيد النظر في جودتها وصلاحياتها للاستعمال فيغير المعطلة منها والفاصلة بأخرى جديدة، كما شبه الجنرال هانوتو المهام العسكرية التي يؤديها هذا الأمين بمهام قائد الأركان في الجيش الفرنسي، حيث قال: «...من أجل تلخيص هذه التعيينات الرئيسية، يمكن القول أنها متشابهة مع التعيينات المطبقة في جيوشنا، فقائد الأركان هو من يتولى الإدارة العسكرية وأن مهام الأمين مؤقتة تتوقف مع نهاية الحرب...»¹⁷، كما يؤدي هذا الأمين مهام دبلوماسية إذ يشرف على المفاوضات مع العدو، وعقد الصفقات السرية كصفقات شراء الأسلحة.

ب - أمين الاتحاد

ويأتي في الدرجة الثانية «أمين الاتحاد» أو «أمين نتاقيبت»، والذي كان يعين في نفس ظروف تعيين «أمين الأمناء»، حيث يلعب نفس دور هذا الأخير في القبيلة، بينما يلعب هو دوره في الاتحاد الحربي القبلي ككل، حيث يأتمر كل أمناء القبائل لأوامر هذا القائد، وينقلونها بدورهم لأمناء القرى وقادة الفرق في باقي المجندين بمنطقة القبائل¹⁸.

ج - الصفوف

ونجد بالدرجة الثالثة «الصفوف» التي تعتبر كتجمعات تعاضديه في حالة الدفاع أو الهجوم و في كل ما يحتمل وقوعه في الحياة اليومية بالنسبة للقبائل المشاركة في الصف الواحد، فهو تطبيق للحديث القائل «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما» فيشكلون أجهزة للدفاع في كل الخصومات التي تقع بيت الصفوف أو القبائل، أما في حالة الحروب الكبرى فإن الصفوف الصغرى تندمج في الصفوف الكبرى أو ما يعرف بالاتحادات الحربية القبيلة، وهي التي تقود عملية الدفاع أو الهجوم وفي العادة يتولى قيادة هذه الاتحادات كبار العائلات في المنطقة¹⁹.

د - أمين القرية

ثم يليهم كل من «أمين القرية» و «الطمان»، فيذكر هانوتو

عسكرية يحتكمون إليها فحظيت هيئة «تاجماعت» بسلطة محلية طاغية في كل قرى منطقة القبائل فقراراتها إجبارية التنفيذ كما سنراه لاحقا، غير قابلة للنقاش أو التراجع لأنها تعبر عن إرادة كل سكان المنطقة.

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الفرنسية اهتمت بهذه الهيئة فيذكر النقيب لويس رين (Louis Rinn)¹⁰ حول هذا التنظيم مايلي: «... كان لكل قرية في منطقة القبائل أمين يرأس هيئة تاجماعت المحلية، وكان اتحاد مجموعة من القرى يشكل عرشا أو قبيلة على رأسها أمين الأمناء أو أمين العرش أما في زمن الحرب تنضوي عدة قبائل في شكل اتحاد أو حلف قبلي يرأسه أمين الاتحاد، أو ما يسمى محليا بأمين نتاقيبت...»¹¹.

كما يقدم رين إحصائيات عن تعداد المحاربين في بعض الاتحادات القبلية على غرار الاتحاد القبلي الحربي لآيت منقلات والذي تألف من أربعة عروش هي: آيتمنقلات، آيت عطا، أقبيل، آيت بويوسف، والذين شكلوا ما مجموعه 14.429 نسمة منهم حوالي 3000 محارب، والاتحاد القبلي الحربي لآيت إيجر الذي ضم 6000 نسمة¹²، بينما تطرق كلمن الجنرال هانوتو (A. Hanoteau)¹³ والمستشار لوتورنو (A. Letourneux)¹⁴ لقادة هذا التنظيم القبلي فقالا إن هذا الاتحاد هو اتحاد تتبادل فيه الحقوق والواجبات والتعاون لصد العدوان الأجنبي، وإعلان الحرب المقدسة (الجهاد)¹⁵.

1.2 - القيادة السياسية و العسكرية في المنطقة.

أ - أمين العرش (قائد تاجماعت)

كان يرأس هذا الاتحاد «أمين الأمناء» أو «أمين العرش»، الذي يعتبر قائدا لهذا الحلف فوصفه هانوتو على أنه موظف معين من طرف وجهاء وأعيان القرى المتحدة¹⁶ (مسؤول منتخب بتعبيرنا المعاصر) ينشط على مستوى القبيلة، وكان له دور مهم في مساعدة قادة الكتائب والفرق لإعداد الحرب والتخطيط، وكذا الإشراف على التجنيد والتموين والتسليح، وضبط تعداد الرجال والفصائل، وإيصال أوامر هيئة تاجماعت باعتباره نقطة وصل بينها و بين أمناء



من يخالفها، ومن أبرز القواعد التي ذكرت في المصادر نجد:

- مبدأ الحياد، حيث كانت هناك استثناءات أثناء المواجهات الداخلية تخص رجالا محاربين معروفين بالقوة والشجاعة يطالبون بعدم المشاركة فيها، مقابل تقديمهم لأعداء مقنعة لهيئة «تاجماعت» ودفع نصيب من المال، إذا وافقت الجماعة يصبح الرجل المحايد محرم الدم، واجب على من قتله دفع الدية حتى ولو كان القاتل من طرف العدو وعرف هذا المحايد باسم «أمستامن»²³ بلغة سكان المنطقة، أي الطالب للأمان أو «المستامن» باللغة العربية.
- لا يجب الاستيلاء على مواشي الخصم أو تدمير عيون المياه الخاصة به.

- يمنع على المتنازعين الهجوم وإطلاق النار، قبل أن يتم الإعلان عن بداية إطلاق النار بين الطرفين في ميدان القتال، وإذا ما تم مباغته طرف لآخر قبل إعلان إطلاق النار، فإن دفع دية الدم واجبة على القاتل.

- نهاية المواجهات، عند نهاية المعارك وإعلان السلم، يذكر هانوتو تقليدا قديما كان سائدا في المنطقة وهو تبادل المزراق²⁴ بين المتحاربين، والذي تم استبداله بالبندقية²⁵.

2.2 الإعداد للمواجهات والإغارات.

إذا كانت الحرب وشيكة فإن التحضيرات تسير على وتيرة سريعة، بحيث يتم إلغاء جميع التعاملات الأخرى، بما في ذلك المطالبة بالدية، فعلى الجميع التفرغ لإعداد للحرب والتخلي عن كل عمل خارجي، فمغادرة القرية ممنوعة، بل تقوم «تاجماعت» بإرسال مبعوثين يطلبون عودة الأهالي من خارج القرية وتمنع من يود مغادرتها، كما تخزن الجماعة عدد معتبر من البنادق والذخيرة²⁶.

أعد سكان منطقة القبائل خطط لمواجهة أي حصار محتمل تلخصت في تزويد جميع منازل القرية بكميات كافية من الماء، وإرسال جميع مواشيهم لقبائل محايدة أو يتم إخفائها في مكان مؤمن في الغابات والجبال، وبذلك كانت جميع السواعد محجوزة من أجل المشاركة في أعمال الدفاع و تحصين القرية بحواجز تحسبا لأي هجوم مفاجئ²⁷.

على أنهم موظفون إداريون عاديون لا يكونون جزءا من القيادة الحربية، إلا عن طريق صفتهم الشخصية، بتعبير آخر لا تكون مناصبهم وراثية بل مكتسبة عن جدارة واستحقاق فيؤخذ بعين الاعتبار حسن تسييرهم لشؤون مجنديهم وشجاعتهم في الحروب²⁰.

تمثلت مهام «الطمان» و«أمين القرية» في إحصاء الرجال المؤهلين للخدمة العسكرية وإنشاء مراكز المراقبة، وتحديد عدد الأفراد المجندين المخصصين لكل مركز، تشكيل فرق الحراسة وإعطاء تعليمات وقواعد العمل اليومي، حيث كان كل مركز يسير من طرف قائد مسؤول يسمى «طمان»، بدوره يكلف بمهمة تطبيق تعليمات وأوامر القيادة وإيصالها بالشرح والتبسيط لباقي المجندين، كما يسهر على التدابير الضرورية للدفاع عن المراكز²¹.

ومن القوانين التي كانت سارية بين المجندين ويطبقها الطمان بصرامة هي منع المجندين من ترك مراكز المراقبة، أو التهاون في تطبيق أوامره، يحدد ساعات الحراسة لكل فرد، فلا يمكن لأي مجند الغياب أو التعويض دون سبب وإلا يتعرض لعقوبة، والتي يتم دائما تحديدها من طرف هيئة «تاجماعت» هرم السلطة السياسية والعسكرية في منطقة القبائل، حتى المجندون الذين يرخص لهم في ترك مراكزهم، عليهم أن يكونوا دوما على أهبة الاستعداد للتدخل مع أول نداء للمنادي في حالة الطوارئ أو صوت إطلاق النار، وإن يلتحقوا فوراً بالمكان الذي حددته لهم القيادة مسبقاً أو ما يعرف في الجيوش الحالية «بمخططات الحماية الدفاعية» والذي يكون معلوما عند كل مجند، ومن مهام الطمان قائد المركز الحرص على مداومة صيانة الأسلحة خاصة البنادق والخرابيش وملئ جعب البارود²².

عرفت منطقة القبائل العديد من الصراعات والمعارك الداخلية والتي لم تكن معارك مميتة، حيث كانت تجري بين مجموعة من الرماة بالبنادق عن بعد، فإذا طالت فترة المعركة يقومون بفض الاشتباك ويعود الجميع حاملين القتلى والجرحى، بينما لا تنتهي الحرب إلا إذا تساوى عدد القتلى بين الطرفين، كما تستند حروبهم الداخلية خاصة بين الاتحادات القبلية الحربية إلى قواعد وشروط يعاقب كل



4.2 التدريب والتكوين

اعتمد التدريب على القتال في منطقة القبائل على البنية الجسدية التي اشتهر بها سكان المنطقة بحكم طبيعتهم التي جعلت منهم صيادين مهرة، وقناصين بارعين شهد لهم بها القادة الفرنسيين، مثلما سبق وأشرنا إلى كلام «رين» عن الرماة في حصار الأربعاء نايت ايراثن، أما إذا كانت الحرب مع قوات الفرسان مثل فرق (القوم)³³ في السهول فإن التدريب يتغير ليصبح تدريبا على الفروسية والخيول عن طريق شراء أجود الخيول العربية و البربرية، وتدريب الرجال على الفروسية، بل وتعدى الأمر أن يقوم الأئمة بأمر من هيئة «تاجماعت» بتقديم منح مالية معتبرة لفرسان (القوم) أو المتخلين عن فرقهم، قصد استمالتهم والاستفادة من خبرتهم في الفروسية وشؤون الخيل³⁴.

5.2 التسليح في منطقة القبائل

كان التسليح من مهام «أمين الأمناء»، الذي كان يشرف على عقد الصفقات السرية لشراء الأسلحة بمساعدة الجماعة والصفوف، الذين كانوا مكلفين بشراء السلاح والذخيرة، و تخزين المؤونة، كما كان يجب على كل مقاتل تسليح نفسه بماله الخاص ببندقية وجعبة بارود، وعدد معتبر من الخراطيش، أما إذا كان المجند فقيرا فيجب على سكان القرية تقديم السلاح والذخيرة له، وفي فترة الجهاد عندما تكون القبائل موحدة فإن مداخيل المسجد تعود للتموين والإمداد بالسلاح، وإذا لم تكفي مداخيل المسجد فإن هيئة «تاجماعت» ستفرض ضرائب مؤقتة، كما كان الرجال الأغنياء يسهمون في تسليح وقوم المقاتلين في الجبهة، حيث يقدمون البنادق وسيوف «الباطاغان»³⁵ والخراطيش ويوزعونها على إخوانهم في السلاح³⁶.

كما ذكر النقيب «دوفو» سلاحا آخر استخدمه القبائل في حروبهم وهو سيف فليسة الجزائري الصنع، نسبة لقبائل «فليسة البحر» حيث قال: «... لكل فرد سلاح مسدس أو سلاح أبيض، سلاح فليسة أو قاذوم، فليسة هو سيف ذو صفيحة عريضة في الوسط تنتهي بنصل مدبب يصنع في قبيلة فليسة البحر، أما القاذوم فهو أداة بشفرتين...»³⁷.

كما يتم صيانة مراكز المراقبة المهدامة وتقويتها حسب الحاجة، وإذا دعت الضرورة يتم بناء حواجز وتحصينات بالحجارة الصماء في مواقع إستراتيجية، والتي أشار إليها النقيب «رين» بإعجاب، فوصف التحصينات التي اتخذها القبائل في حصار حصن الفورناسيونال سنة 1871، في منطقة الأربعاء نايت ايراثن بقيادة مقدم الزاوية الرحمانية في المنطقة (محمد واعلي أوسحنون)، حيث قال: «... وقد أظهر المهاجمون خبرة فائقة في الاحتماء بالثنيات²⁸ الأرضية، والسواتر الترابية، واستخدموا ما توفر لديهم من أدوات لحفر الخنادق والمخابئ، وإقامة المراسد والكمائن التي اخذوا يطلقون النار منها على شرفات الحصن...»²⁹.

إن كل هذه التحضيرات للحرب تتم تحت إشراف «تاجماعت»، والتي تكونت من الأعضاء المذكورين سابقا من أمين الأمناء وأمين نتاقيبيلت، والذي أطلق عليهم هانوتو من قبل اسم «الإدارة العامة للحرب».

3.2 التجنيد في منطقة القبائل

كان التجنيد واجبا على كل رجل بالغ قادر على حمل السلاح للدفاع عن بلاده، حيث كانت الخدمة العسكرية في نظر القبائل تمثل واجبا مقدسا، فمن كان عاجزا منهم على حمل السلاح صار محل سخرية للجميع بل وصل بهم تقديس الجهاد إلى ترحيلهم حتى كبار السن والفتيان الذين يقدر على حمل السلاح يقدمهم آبائهم بكل فخر «لتجماعت» قصد قبولهم في التجنيد³⁰، فكان واجبا علي الجميع حمل السلاح هذا ما يؤكد هانوتو في قوله: «... كما أننا عرفنا رجالا كبارا في السن يكاد يبلغ سنهم السبعون سنة لم يكونوا معفيين من حمل السلاح والمشاركة في المعارك...»³¹.

كانت طرق التجنيد تختلف من قبيلة لأخرى حسب الظروف السائدة فالتجنيد في الحرب المقدسة (الجهاد)، ضد النصارى أو ضد أي تدخل أجنبي أو اعتداء على الاتحاد القبلي يختلف عن التجنيد في حرب بين قرية ضد أخرى، ففي الجهاد يصبح من الواجب على الجميع حمل السلاح دون استثناء بين الجندي والمرابط الذي قلما يشارك في الحروب الداخلية³².



أسيرات...»⁴².

هذا ولم تقتصر مشاركة المرأة في حروب بلاد القبائل على الأناشيد والصراخ بل تعدتها لقيادة المعارك إذ نجد القائدة فاطمة نسومر تقود صفوف المسبلين للدفاع عن أرضها إثر حملة الجنرال دوماكماهون (De Mac-Mahon) والتي سنذكرها في مشاركة المسبلين في حروب منطقة القبائل.

3 - المسبلون في التاريخ الإسلامي.

تطرقت العديد من المصادر لهذه الفرقة في منطقة القبائل، والتي لم تحدد تاريخاً واضحاً لظهور المسبلين في المنطقة⁴³ غير أنها تؤكد على أقدمية هذا التقليد وصلته الوثيقة بالدين الإسلامي، فهي قائمة على فريضة الجهاد في سبيل الدفاع عن الدين والأرض والشهادة في سبيل الله للفوز بالجنة فقتال الكافر واجبة على كل مسلم والتضحية بالنفس في سبيل الله تعتبر من أقدس الأعمال في الإسلام وأصله من الكتاب والسنة آيات وأحاديث متعددة، منها قوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ»⁴⁴.

أي سواء عليه جاهدوا ورجعوا أو استشهدوا، ولهذا السبب ذهب بعض الصحابة إلى أنه كل مؤمن له بيعة في عنقه، إذ بايع الله عز وجل على القتال في سبيله فله الجنة، وقد ذكر الإمام (أبو عبد الله الحضرمي الأندلسي) في تأليفه (الفرائد المرويات في فوائد الثلاثيات)، أي ثلاثيات (البخاري) في حديث يتصل بسلمه ابن الأكوع الصحابي الجليل قال: «بايعت النبي صل الله عليه وسلم ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبائع، قال: قلت قد بايعت يا رسول الله، قال: وأيضا فبايعته الثانية فقلت: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تباعون يومئذ؟، قال: على الموت».

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو الشواهد الكثيرة التي اشتهر فيها المسلمون بتوطين أنفسهم على التضحية

أما «لويس رين» فتطرق إلى قضية شراء الأسلحة من خارج حدود البلاد التي استخدمت بكثرة في منطقة القبائل أثناء ثورة «المقراني» و«الحداد» سنة 1871، والتي تكفل أتباع الطريقة الرحمانية بشرائها من تونس، فبالإضافة للبارود، أشتروا خراطيش وبنادق من نوع Chassepot شاسبوت³⁸ أجنبية الصنع فجلبوا كميات معتبرة من البارود والبنادق من تونس³⁹.

أما ألبسة المقاتلين القبائل فهي ليست مكلفة جداً، حيث كان كل مقاتل حاصر الرأس مع ملابسه التقليدية المتمثلة في جلابته المسماة بلغة سكان المنطقة (تاجلابت) والتي يربطها بحزام تحت الخصر، وفي ذلك يذكر النقيب «دوفو» نوعاً آخر من اللباس الجلدي الذي كان مشهوراً عند الفلاحين والمقاتلين في المنطقة فيقول: «لباس المحارب القبائلي في أعالي الجبال كان عبارة عن معطف من جلد مثله مثل القادوم مهم في المعارك وفي أعمال الأرض يسمونه تابينتا»⁴⁰.

6.2 الأهمية الاجتماعية للمرأة في المعارك

كانت حرمة المرأة القبائلية محفوظة باعتبار أن منطقة القبائل كانت على الطريقة الرحمانية فأثناء المواجهات الداخلية بين القبائل يشير النقيب شارل دوفو (CHARLE, Devaux) أن النساء كن ينتقلن بحرية من قرية لأخرى عبر ممرات محددة لهن من قبل تجمعات وفي ذلك يقول: «...كانت النساء الصغيرات والمسنات يجتمعن بدون حليهن الذي يضعنه في أيديهن وينشدن أناشيد الحرب، وبين فترة وأخرى كن يصدرن أصوات عالية، من أجل رفع معنويات وشجاعة المدافعين الأناشيد، صرخات الحرب، التي كانت تطلقها النساء في وسط المعركة كان لها أثر شديد على مشاعر المجندين لقبائل⁴¹ في الدفاع عن القرى المهددة من طرف العدو، لقد فهمت عندما كنا نسمع تحريض الزوجات والأمهات كم هي مؤثرة على أحاسيس المجاهدين، لكن الأمور تتغير إذا كان الفرنسيون هم المهاجمين، إذ يتم إرسال النساء مع الأطفال والقطعان للغابات والجبال لأنه في حالة الاستيلاء على القرية سيعتبرن



تغلب الفدائيون أصحاب السلايم على المقاومة الاسبانية، وفتحوا الحصن، حينها خلد صالح رايس هؤلاء الشهداء وبنى لهم ضريحا في سفح برج موسى واشتهر بهم لمدة من الزمن ومازال إلى اليوم حمام بسيط بقرية يحمل اسم حمام سبع رجال⁵⁰.

أما الحادثة الثالثة فكانت لجيش الأمير عبد القادر عندما كان بالمغرب حيث يحدثنا المؤرخ المغربي الناصري باعتباره وجهة نظر المغرب الرسمية والذي قال: «...أثر خلاف الذي وقع بين الجيشين بعث الملك لجيش الأمير عبد القادر عسكريا من الشراردة، فاجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد، من ذلك أنهم اعتصموا بربرة وجعلوا يقاتلون على حريمهم، وكانوا رماة لا تسقط لهم رصاصة في الأرض، فكانوا كلما توجهت إليهم طائفة من الجيش (المغربي) استأصلوهم بالرصاص، و كانوا يجمعون موتاهم فينصبونها أشبارا يتترسون بها ويقاتلون من خلفها، ولما أعيى الجيش أمرهم حمل عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم في معتصمهم وجالدوهم بالسيوف وطاعنوهم بالرماح والتوافل، وانقطع البارود فكانوا يقتلون أبناءهم ونساءهم بأيديهم فرارا من السبي والعار، ثم جعلوا يقتلون أنفسهم حيث تحققوا أنهم في قبضة الأُسُر...»⁵¹.

ويستمر الناصري في الحديث فيقول: «... أن الأمير عبد القادر عمد ذات ليلة إلى طائفة من جنده نحو الخمس عشرة مائة على ما قيل، كلهم بطل مجرب، انتقامهم انتقاء، وكان جيش الخليفة أي ولي عهد ملك المغرب مقسم إلى قسمين، بضعه معه وبضعه مع أخيه، فصمد الحاج عبد القادر إليهما بتلك العصبة، الذين هم فتیان الكريهة ومساير الهيجاء وجمرات الحرب، طالما هد بهم الوقائع وخاض غمرات الموت مع الفرنسيين ... وهلك من المحتلين بسببهم بشر كثير فشاهدوا من طمأنينتهم عند القتال ما قضا منه العجب...»⁵².

والشاهد من رواية قصة الناصري هو قوله قتل أبناءهم ونساءهم ثم قتل أنفسهم خوفا من الأسر والعار، كذلك قوله عن الجنود المختارين بعناية لخوض غمرات الحرب والتضحية بالنفس فوصفهم بجمرات الحرب وفتیان

والشهادة في سبيل الله فرادى وجماعات، وان المتتبع لأشهر وقائع المسلمين شرقا وغربا لا يسعه مجال لعددها أو حصرها، ومن تلك الشواهد ما ذكره أصحاب السير والتواريخ عن جهاد الرسول صل الله عليه وسلم وعمره يزيد عن 53 سنة ففي يوم حنين صعد إلى ربوة مرتفعة وقد افترق عنه أصحابه مواجهوا العدو دون خوف مناديا في أصحابه مشجعا لهم غير مكترث بالسهام التي تتساقط بالقرب منه والتي لم تحرك فيه ساكنا.

فسار أصحابه على نفس سيرته فجاء في الأثر ما رواه الحافظ «ابن كثير» عن شجاعة الصحابي «البراء ابن مالك» في غزوة اليمامة في عهد الخليفة الراشد «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه سنة 632/هـ 11 م، قال: «...أغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة وقال البراء ابن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فاحتملوه فوق الجحف رفعوها بالرماح حتى القوه عليهم في الحديقة، من فوق السور فمازال يقاتلهم دون باباها حتى فتحه ودخل المسلمون...»⁴⁵.

بالعودة إلى بلاد المغرب الإسلامي، حيث يحدثنا التاريخ⁴⁶ عن أحد رفاق المهدي ابن تومرت وتلميذه عبد المؤمن بن علي، لما كانوا في طريق عودتهم من بجاية إلى المغرب، فكانوا ببعض القرى، حيث طلب رفيق عبد المؤمن أن يستبدل معه مكان النوم فأجابه عبد المؤمن لرغبته، وفي الصباح وجد رفيقه ميتا حينها أدرك عبد المؤمن أن رفيقه فداه بنفسه وكان اسم هذا الفدائي إسماعيل ابن يحيى الهزرجي⁴⁷.

وقعت الحادثة الثانية في أوائل القرن 10 هجري عندما احتل⁴⁸ الإسبان مدينة بجاية، ثم ظهر العثمانيون في الميدان فحاصرها صالح رايس⁴⁹ سنة 1555، ما يقرب من الشهر فاستولى على حصن عبد القادر، ثم هاجم حصن موسى - قصبة البلاد - والتي تحصن بها حاكم بجاية الاسباني لويس دوبرالطا الذي قاد مقاومة عنيفة دامت ثلاث أسابيع حينها تقدم سبعة فدائيين واتخذوا سلايم من حبال لكنهم سقطوا تحت وابل رصاص الإسبان لكن تضحياتهم لم تذهب سدا، فقد خلفهم كثير من رفاقهم ولم تمضي تلك الليلة حتى

الموت...»⁵⁷.

تعود أول إشارة للمسبلين في التاريخ المحلي لمنطقة القبائل، لتلك الحادثة التاريخية التي أشار إليها كل من هانوتو لوتورنو، و الرحالة الجزائري ابن حمادوش⁵⁸ التي تطرق إليها تحت عنوان ثورة زواوة سنة 1158 هجرية الموافقة لسنة 1745، والتي تظهر مشاركة أول فرقة من المسبلين في التصدي لحملة الباي محمد الذباح⁵⁹ في منطقة القبائل.

بينما⁶⁰ ذكر هانوتو لوتورنو الحادثة كاملة فقالا: «...قبائل ايث ايراتن تصدت بأنفة لهجوم موجه نحو جبالها بقيادة الباي محمد الذباح، كانت أحداث هذه الحملة حوالي سنة 1744م / 1157هـ...» وتسترسل المصادر التي أرخت للحادثة في سردها فتقول: «... يحيي سكان آيث ايراتن بفخر عن 150 محارب من منطقتهم والذين صدوا الهجوم المنظم ضد جبالهم عن طريق الباي محمد الذباح⁶¹ ... هذه المجموعة القليلة التي حاصرتهم عند واد سمدة حيث كان من المفروض عليهم مهاجمة قرى أدني عن طريق سوق الأحد، لكن تفاني وإخلاص المجاهدين الذين اثبتوا جدارتهم جعل الأتراك (العثمانيين) ومساعدتهم يفرون مع أول طلقات النار عن طريق تاقصابت...»⁶².

وفي الأخير لا يمكن تحديد تاريخ معين لظهور فرقة المسبلين في منطقة القبائل، لكن من المؤكد أن أول ظهور لهذا النوع من الفداء كتنظيم يعود لفترة بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة تحديدا سنة 1854، مع ثورة لالة فاطمة نسومر التي تحدثت عنها الكثير من المصادر الفرنسية بإسهاب، لذلك سنقف لدراسة هؤلاء المسبلين طريقة تجنيدهم وأبرز إسهاماتهم في الثورات الشعبية بالمنطقة.

ب - تجنيدهم

تحكمت مجموعة من الشروط والضوابط في تجنيدهم المسبلين في منطقة القبائل وفق القوانين التي أقرتها هيئة «تاجماعت» ومن أهمها:

يجند المسبل بعد طلب الإذن من المسؤولين السياسيين والعسكريين المكونين لهيئة تاجماعت، بعد اعلان البلاد

الكرهية، الذين توكل إليهم المهام الخطرة ضد الفرنسيين أو أي محتل آخر في سبيل تحقيق النصر أو الشهادة.

1.1 المسبلون في الجزائر

أ - التعريف

المسبل هو كل متطوع للجهاد والتضحية مستميت للدفاع عن أرضه وشرفه تحت شعار(النصر أو الشهادة)، فهو غير المجند العادي الذي يضطر أحيانا لعقد الهدنة والصلح مع العدو أو الاستسلام، كان هذا النوع من الفداء يسمى في منطقة القبائل «إيمسبلن» مفردة «إيمسبل» وهو المسبل باللغة العربية والذي يطلق على الفدائي في البلاد الإسلامية الآخر بغير أنه يختلف عنه في بعض الجزئيات التي تخص ضبطه ونظامه⁵⁴.

فالمسبلون في منطقة القبائل كان يحكمهم قانون ونظام خاص بهم ذكرته المصادر الفرنسية على أنهم متطوعون من أبناء المنطقة يسمونهم بلغة البلد «إيمسبلن» مفردة «إيمسبل» أي (المسبل)، فهؤلاء المسبلون على حد قول رين يضحون بحياتهم وليسوا دعاة ينشرون عقيدة دينية بل هم مقاتلون لا يمكن تجنيدهم إلا بهدف الدفاع عن أرض الوطن، ضد احتلال أجنبي أو لطرد غزاة منه⁵⁵.

أما العقيد روبان (Robin) فيقول: «...هم مجموعة من المقاتلين المختارين لا يجندون إلا في فترات الحرب ضد الأجانب أو لطرد الغزاة...»⁵⁶، كما بين الجنرال هانوتو والمستشار لوتورنو طريقة تجنيد المسبلين كما يلي: «... هذا التقليد الذي يعود لعصر البطولات والذي يكون في أوضاع حاسمة لشباب يحملون اسم إيمسبلن والذين يضحون بأنفسهم من أجل الدفاع عن الأرض و البلاد ضد الأجنبي، وفي موضع آخر: «... حين تكون البلاد في خطر يشكلون مجموعة من الشباب مهيؤون للموت من أجل حماية أرضهم ونسبيهم بالمسبلين ومعناه- المسخرون والمكرسون لهدف نبيل- والذين كانوا يحلفون على الكتاب المقدس (القران الكريم)، بحضور كل أعيان القبيلة على عدم الاستسلام والقتال حتى الموت بلا هدنة أو رحمة، وفي طريقهم إلى المعركة يرتل عليهم المرابطون دعوات



اسم «مقبرت إمسبلن» أي «مقبرة المسبلين»، والتي اعتبرت مكانا مبعلا، أما أسرهم فتتكفل هيئة تاجماعت بإعالتهن ومعاملتهم باحترام كبير ⁶⁷.

أما المسبل الذي نجا من الموت في المعركة بسبب الإصابة أو الانتصار فإنه يعامل باحترام وتفسح له المجالس ويؤخذ برأيه، عكس المسبل الفار من المعركة فإنه منبوذ في قومه يمنع الكلام معه، ولا ينطق باسمه مجددا، لا تعقد معه علاقات مصاهرة ولا مع وأولاده إن وجدوا، فيعتبر ميت عليه مغادرة القرية والقبيلة، بل وتعدى الأمر إلى حد تنفيذ حكم الإعدام على بعضهم من طرف عائلاتهم ⁶⁸.

2.3 مشاركة المسبلين في ثورتي فاطمة نسومر و المقراني

أ - ثورة لالة فاطمة نسومر سنة 1857

كانت أول مشاركة لفرق المسبلين في الثورات الشعبية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي عند حملة الحاكم العام للجزائر الجنرال (دوماكماهون) (De Mac-Mahon) والجنرال «راندون» (Rondon) على منطقة القبائل سنة 1857، في جولة تفقدية للمنطقة التي كانت الحرب فيها توشك على نهايتها (ثورة الشريف بوبغلة) حسب اعتقاده، ومع وصوله بالقرب من (بني يتوراغ) رأى النيران موقدة في قمم الجبال حينها توجس خيفة، حيث كانت النيران الموقدة في قمم الجبال بمنطقة القبائل لا تحمل سوى مدلول واحد هو إعلان الحرب، فهذا التقليد الحربي يعتبر بمثابة الإذن لاجتماع المجاهدين وتهيئهم للحرب، فعرفوا أن امرأة من سكان المنطقة تزعمت المقاومة وأحييت تقليد المسبلين، وهي لالة فاطمة نسومر ⁶⁹.

وصفها كل من روبان، هانوتو، رين، دوفو، لوتورنو، وأغلب الضباط الفرنسيين الذين كتبوا عن المنطقة إبان الثورات الشعبية ببنية جرجرة، فيذكر روبان أنها كانت ترتدي برنوس أحمر في هذا اليوم، وهي فوق ربوة مرتفعة محاطة بنساء القرية يحرضن المسبلين على الموت في سبيل الله، فيذكرونهم بما وعد الله به الشهداء ⁷⁰.

اعتبرت مقاومتها من بين أعنف المقاومات التي واجهها الجيش الفرنسي في معاركه بالمنطقة رغم قلة عدد المسبلين

دخولها في حرب ضد عدو أجنبي و قصد الدفاع عن الوطن، أو محاربة عدو محتل، فالمسبل لا يجند في الحروب الداخلية بين قبيلة وأخرى أو اتحاد قبلي حربي وآخر مهما كانت الأسباب الداخلية لنشوب الحرب ⁶³.

بعد الحصول على الإذن من المسؤولين في هيئة تاجماعت وتحديد عدد المجندين تقوم شخصية دينية تتمتع بالنفوذ والسمعة في البلاد وفي أغلب الأحيان يكون أحد المرابطين هو من يتكفل بعملية فتح سجلات لتسجيل المجندين، حيث يكون التسجيل في التجمعات العامة كالمساجد والأسواق، في مختلف ارضي القبائل المتحدة.

يشترط علي المسبل أن يكون أعزب، ويقدمه أهله بالخصوص والده إن كان حاضرا، ويقبل المتزوج إذا دعت الحاجة لذلك، وبعد التسجيل النهائي لا يقبل من المجند رفض الخدمة مهما كان العذر، إلا إذا كان والده غير حاضر ولم يوافق على تجنيده، وبمجرد تسجيلهم في فرقة المسبلين كان المجندون يحاطون بالاحترام والتقدير والتبجيل الكبيرين، فتتولى هيئة تاجماعت النفقة على ذويهم، ويقدم لهم السكان الهدايا والسلاح و التموين لهم ولجميع أفراد أسرهم ⁶⁴.

بعد نهاية عملية التسجيل يتقدم المرابط وهو الشخصية الدينية للجماعة في حفل عمومي يصطف فيه المسبلين صفوفًا، صامتون لا يشاركون بقية الحاضرين في تلاوة القرآن أو ترديد الأدعية، وتعد تلك الأدعية وذلك الترتيل بمثابة صلاة الجنازة التي وصفها هانوتو بصلوات الموتى ⁶⁵.

بعد تعيين المسبلين، يقوم القادة العسكريون في هيئة تاجماعت بتنظيم مهام المسبلين فيضعون لهم الخطط الحربية، ويحددون لهم مكان المعركة، نقاط وموقع كل مسبل منهم، ونوع الأسلحة، وكذا النقاط التي يعودون إليها في حالة الكر والفر، بحيث يمنع عليهم تجاوز المكان المحدد لهم في حالة الانسحاب، ويضيف «روبان» أنه يمنع اختلاط المسبلين بباقي المقاتلين في الفرق العسكرية الأخرى في حالة الحرب ⁶⁶.

كما أنهم لا ينقلون موتاهم من أرض المعركة إلا بعد نهايتها، و كانوا يدفنون في مقابر خاصة بهم تحمل



بالإضافة إلى مشاركتهم في ثورة فاطمة نسومر فقد ساهم المسبلون في انتفاضة 1871، بقيادة الباش أغا محمد المقراني ومقدم الطريقة الرحمانية الشيخ الحداد، وهنا ظهرت فرقة المسبلين بصفة جلية، والتي اعتنى بها ضباط الجيش الفرنسي بالتأليف والتقارير الرسمية والتي تحدثت عن المشاركة القوية للمسبلين في حصار حصن الأربعاء نايت ايراتن بمنطقة القبائل والذي كان بقيادة مقدم الرحمانية بالمنطقة سي محمد واعلي أو سحنون فرع ايسحنون من قبيلة بني ايراثن⁷⁴.

بدأ حصار الفورناسيونال (الأربعاء نايت ايراتن) في ليلة 17 أفريل 1871، بالهجوم على الحصن الذي يصفه لويس رين بقوله: «...» في 17 أفريل مع حلول الليل كانت وحداتهم الوفيرة تجوب التلال المحيطة بالمدينة، وعلى الساعة التاسعة عندما دق بواق الموقع جرس الانصراف في آخر الليل تعالت صيحات ودوت طلقات نارية من كل جهة وفي نفس الوقت أخذت نيران الحرائق تلتهم البنايات الشاغرة ورضي القبائل بما قدموه ولم يتقدموا ففرضوا حصارا كاملا حول المبنى الرئيسي في الموقع المحصن واستمر الحصار لمدة ستين يوم، أظهر فيه المهاجمون خبرة فائقة في الاحتماء بالثنيات الأرضية والسواتر الترابية، واستخدموا ما توفر لديهم من أدوات لحفر مخابئ وخنادق، وإقامة مراصد وكماثن والتي أخذوا يطلقون منها النار على شرفات الحصن وفتحات الرمي على المدافعين...»⁷⁵.

ويقول في موضع آخر: «... ومنذ هجوم 17 أفريل لم ينفكوا يطلبون - يقصد بهم مقدمي الزواية الذين كانوا يطلبون من هيئة تاجماعت المزيد من المسبلين- المزيد من المتطوعين من أبناء المنطقة ويسمونه بالبربرية إمسبلن... كانت دائرة الفورناسيونال تضم 152 وحدة إدارية قدمت 114 منها نصيبها من المسبلين وفر ما مجموعه 2.280 مسبل تطوعوا للتضحية بحياتهم والذين اتفقوا على أن يكون على الهجوم في ليلة الأحد 12 ماي 1871، بإسناد 150 من السلام على جدران الحصن وأن يبادروا بالهجوم... في أمسية الأحد ساد هدوء غير معهود، حيث لم تطلق فيه ولا طلقة بارود ولم تسمع أية جلبة في الخارج

في ذلك اليوم إذ كان من المفروض تجنيد ألف مسبل، ونظرا لضيق الوقت جند أخوها سي طاهر 157 مسبل، دافعوا عن القرية ببطولة حسب ما جاء عند الكولونال روبان حول هذه المعركة فيقول: «...» في هذا الخط الدفاعي (يقصد به طوق جبال تيورودة) هنا تقطن المشهورة بنبيه جرجرة لالة فاطمة نسومر، التي كانت محاطة بالقبائل في إجلال وعظمة كبيرين، مع إخوتها سي الطاهر، سي محمد، سي شريف وسي الحاج الذين أثاروا التعصب الديني وحب الوطن لذا لقبائل، بحثهم على المقاومة العنيفة بإتباع التقليد القديم عن طريق تجنيد المسبلين وإشراكهم في المعركة، حيث اشرف سي الطاهر على تسجيل المجندين منهم، لكن ضيق الوقت أرغمه على تسبيل 157 مسبلا بدل الألف مسبل المزمع إشراكهم في المعركة، حين رأى سي الطاهر قواتنا تقترب منه قسم المسبلين على ثلاثة مجموعات في حالة تأهب موزعين في النقاط المحددة مسبقا لخوض المعركة الصعبة...»⁷¹.

ويواصل الكولونال روبان كلامه حول شجاعة المسبلين وقائدتهم لالة فاطمة نسومر بقوله: «...» لالة فاطمة كانت مرتدية حائكا أحمر فوق ربوة محاطة بنساء القبيلة تحرض المسبلين على الجهاد والشهادة، وتحثهم على الاستبسال في القتال، بينما قرر الجنرال مايسايت Maissait أن ينهي مقاومة المسبلين عند الثنيات الجبلية لتقليل الخسائر في قواته الأمر الذي جعل المسبلين يتشبثون في القتال أكثر فأكثر إذ وجد هؤلاء مقتولين في خنادقهم وهم مقيدون بحبل واحد في أرجلهم وكان يعرف هذه التقليد بالربط وبلغة القبائل «⁷² anmi-krasnichoudad

لقد أظهر المسبلون مقاومة عنيفة وشجاعة كلفت الفرنسيين عدد معتبرا من القتلى وحوالي 150 جريح، ورغم أن أغلب المسبلين استشهدوا ولم تحتفظ المصادر بأسمائهم إلا ناجي واحدا ذكر روبان اسمه وهو عمار نايت حملات من بني ايتورار⁷³.

ب - المسبلون في انتفاضة 1871 (ثورة الشيخ المقراني والحداد)



في نهاية دراستنا هذه يمكن الإشارة لنقطة مهمة هي أن المسبلين في منطقة القبائل قد انتهى العمل بها كفرقة عسكرية مع نهاية انتفاضة 1871، والتي اعتبرت آخر أكبر ثورة في المنطقة، بيد أننا سجلنا عودة العمل بهذه الفرقة العسكرية كتنظيم عسكري خلال الثورة التحريرية الكبرى (1954-1962)، يذكر القائد محمد العربي بن مهيدي في احدي مقالاته في جريدة المجاهد فيقول: «... ولنبادر بالقول أن هؤلاء الرجال الذين لا يتسربلون في الزي العسكري هم في جبهة التحرير وجيش التحرير بمثابة العين والأذان والأعضاء في الجسم الحي، وإذا ما قررت التنقل وحدة من وحدات الجيش يأخذ المسبلون على الفور في التحرك بانتظام ودقة يثيران الإعجاب، وإذا ما عينت نهاية مرحلة مقبلة، يتوجه إليها احد رجال الاتصال بصحبة المسؤول عن المحلة المقصود إليها، في حين تحدد اللجنة المحلية لجبهة التحرير عمل كل مسبل، وهناك يهيا إيواء الجنود ولضباط المعين عنهم، وفي نفس الوقت رئيس المحلة أو الدوار العس ومن خلفهم من حراسة النهار، الذين يعززون ببعض المجاهدين في الأوقات التي تتطلب الحذر الشديد... وفي الأماكن التي يضمن أنها ذات خطورة فإن الحرس المدني يختفي بها للإخطار رئيس الفرقة قبل فوات الأوان... بمجرد ما تقرر الفرقة استئناف الزحف لمواصلة مهمة في إحدى الجهات المعنية، يقوم جهاز المسبلين العتيد مشمرا عن ساق الجد وواضعا جليل خدماته رهن إشارة محرري الجزائر.

بالرغم من أن المسبلين ليسوا سوى مساعدين لجيش التحرير الوطني، فهم إلى ذلك يساهمون أيضا بفضل بنادق الصيد التي يحملونها بصفة فعالة في الحرب ضد رعاك الجنود الفرنسيين...».

وكان الصمت مطبقا، وحوالي الثانية صباحا سمعت أهازيج دينية تتردد في أعالي تابلالت، وبعد ربع ساعة تم ترديد نفس الأهازيج في أوريفا متبوعة ببضع دقائق صمت، وفجأة ترددت الصرخات الوحشية في جميع المنحدرات، وبدأ إطلاق النار من كل الجهات والرصاص يمر فوق الحصن، و كان حوالي 2.280 رجل واقفين بالقرب من الجدار مجهزين بسلاح لتسلقه، في هذه الأثناء تسربل الحصن بوشاح من نار، إنهم المدافعون الذين أخذوا يطلقون عن قرب على كل من يتقدم للحصن، ثم تتقاطع طلقات المدفعية في جميع الاتجاهات لتسحق كل مهاجم وكل من يحاول نجاتهم، استمر القتال بشراسة لمدة ساعة، ثم في مطلع النهار اختفى العدو تاركا عند أسفل الجدار قرابة 20 سلم وفي هذه الأثناء كان يشاهد من أعلى الأبراج صفوف طويلة من القبائل محاذاة الطريق المؤدية للجزائر حاملين قتلهم وجرحهم فوق السلام...»⁷⁷.

و كان سبب هزيمة المسبلين هو الخيانة التي أفقدهم عنصر المفاجئة و التي ذكرها كل من النقيب رين، والعقيد روبان، ففي يوم السبت 20 ماي قبل الهجوم تسلل أمين أمناء آيت عطايف على الموقع وأخبر القائد على اليوم والطريقة المحددة للهجوم، حينها اتخذ كافة الإجراءات لحماية الحصن، لذلك قال رين انه ساد نوع من الهدوء في ذلك اليوم لان الجنود الفرنسيين كانوا على علم بساعة ووقت الهجوم بل حتى الطريقة المتبعة فيه، فوضعوا خطة محكمة أبطلت عنصر المفاجئة في المعركة، يضاف لذلك التباين الواضح في نوع السلاح وقوة المدفعية الفرنسية⁷⁸ وهكذا كانت انتفاضة 1871، آخر ثورة شارك فيها المسبلين بصفتهم فرقة عسكرية بالمنطقة.

خاتمة

وفي ذلك أقول أن المسبل في سنة 1830 هو نفسه المسبل سنة 1954، وإن اختلف معه في بعض الجزئيات، فالمهام وأسباب التجنيد واحدة تجتمع في جوهر أساسي هو أن المسبل جندي جزائري مسلم تطوع ليحارب في سبيل الله وفي سبيل تحرير هذا الوطن الغالي «الجزائر».



- 1- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث «بداية الاحتلال»، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 86.
- 2- نزار أباطة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ج.ت نزار أباطة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1994، ص 11.
- 3- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى الدولة العلوية، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج 9، ص 56.
- 4- شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجم. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 186.
- 5- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر.د. أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 43.
- 6- لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، تر. مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013، ص 106.
- 7- يحي بوعزيز، ثورة الباشا اغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 203.
- 8- هي قبائل تواجدت من بجاية شرقا ودلس غربا وسفوح جرجرة ومواطن عجيسة جنوبا، تكونت من 11 بطن و 23 قبيلة ذكرها ابن خلدون وأبرزها: بن مليكش، مشدالة، زكلاوة، بنو يجر، بنو غبرين، بنو يراتن، بنو فراوسن، بنو عيسي، بنو منقلات، بنو بوشعيب بنو يتورغ، بنو بني يوسف، بنو يعلى، بنو جناد.. الخ. (لمزيد من المعلومات أنظر مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط: ص - ص 55-56).
- 9- مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، الجزائر، 2011، ص 50.
- 10- ضابط فرنسي شغل منصب رئيس مكتب العرب في
- 11- لويس رين، المصدر السابق، 319.
- 12- نفسه، ص 393.
- 13- ضابط فرنسي وصل للجزائر سنة 1845 برتبة ملازم شغل منصب موظف في الإدارة المركزية للشؤون العربية سنة 1846 الأمر الذي مكّنه من إتقان العربية والقبائلية معا، عين رئيس مكتب العرب في المدينة سنة 1874، شارك في الحملات العسكرية على منطقة القبائل من سنة 1847 إلى غاية سنة 1856، عين قائد لمركز ذراع الميزان سنة 1859، ثم قائد حصن نابوليون سنة 1860، ليعود لمدينة الجزائر سنة 1862 كمدير لشؤون الأهلية، ثم قائد ثكنة حصن الفورناسيونال سنة 1866. انظر هانوتو و لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج 1، تر. خلوف عبد الحميد، دار الأمل، ص 8.
- 14- شغل منصب مستشار قانوني لدى محكمة الجزائر التقى بهانوتو على متن باخرة متجهة من الجزائر إلى مرسيليا سنة 1863، حيث اقترح عليه مشروع تأليف كتابهم وكان ذلك من سنة 1864 لغاية سنة 1868. انظر هانوتو ولوتورنو، ج 1، ص 14.
- 15- Hanoteau et A. Letourneux, La Kabylie et les Coutumes Kabyles, l'imprimerie nationale, paris, T.II, p.68.
- 16- نصر ا-16 يكون أمين القبيلة غالبا شخصا مختارا من طرف الاعيان معروف بعلمه وفقهه في الدين، من المرابطين او مقدمي الزاوية التي يشرف عليها.
- 17- A. Hanoteau et A. Letourneux, OP. Cit



- من أشكال الخدمة العسكرية الإجبارية رغم عدم وجود أي نص تشريعي يلزم بذلك، وبغرض تنظيم هذه الفرقة أصدرت قيادة الجيش تعليمتين حكوميتين الأولى بتاريخ 28 أكتوبر 1832، والثانية في 17 ديسمبر 1841، في إطار تنظيم الفرق الأهلية. (بلجة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساته على المجتمع الجزائري - 1907-1945، الدكتور مجاود محمد، ص 16).
- 34-A.Hanoteau et A.Letourneux,OP.Cit.T.II, p.71.
- 35- سيف اليطاغان: هو سيف ذو حد واحد مزدوج الانحناء، مع مراعاة أن انحناء خط النصل يتفق مع حركة معصم اليد أثناء الطعن تشبه قبضته الأدنين البارزين فهو لا يحتوي على واقية، يمتاز بثقل أمامي عند الطعن مما يساعد المقاتل على القطع الباتر السريع يطلق عليه الخنجر بتركيا لأنه قصير، يكون مقبضه من فضة وفيه زخارف وكتابات، أما مقبضه فمن فضة. انظر في ذلك (إسماعيل جودي، الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني 1518-1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، د. الدكتور حساني مختار، 2008/2009، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص ص 40-41).
- 36-A.Hanoteau et A.Letourneux,op.cit.T.II, p.71.
- 37-Ch,Devaux ,OP.Cit.,p 46.
- 38- بندقية الشاسبوت 1866 هي بندقية من السلاح الفرنسي دخلت الخدمة سنة 1866، نسبة إلى صانعها انطونيو الفونس شاسبوت.
- 39- لويس رين، المصدر السابق، ص 907.
- 40-C,Devaux ,OP.Cit.,p.47.
- 41- نجد أن النقيب دوفو يستعمل لفظ لقبائل بدل القبائل لدلالة على سكان منطقة القبائل، عكس باقي الضباط أمثال رين، روبان، وهانوتو اللذين يستعملون لفظة قبائل لنفس المعنى.
- T.II,p.p.68-69.
- 18-A.Ibid, P69.
- 19- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي «ثورة بوبغلة»، دار الأمل، الجزائر، 2012، ص.81.
- 20-A.Hanoteau et A.Letourneux, T.II.,OP.Cit .,p.72.
- 21-A.Ibid, P69.
- 22- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 71.
- 23-A.Hanoteau et A.Letourneux,OP.Cit .T.II,p.70.
- 24- المزراق هي كلمة بربرية (أمازيغية)، قديمة وتعني الرمح.
- 25-Ibid, P73.
- 26-Charle,Devaux,les kebaïles du djerdjera,camoïnfrères,libraires,éditeurs ,paris,1859,p51
- 27-Ibid, P52.
- 28- الثنية هي الطريق في الجبل كما جاء في قاموس المعجم الوسيط.
- 29- لويس رين، المصدر السابق، ص 397.
- 30-Ibid, P51.
- 31-A.Hanoteau et A.Letourneux,OP.Cit .T.II,p.p 69-70.
- 32-Ibid, P70.
- 33- هي فرقة عسكرية مكونة من الفرسان الأهالي عرفها كل من سيمون و بيكر في فهرس الحقوق الإدارية في الجزائر سنة 1883، «بأنها مجموعة من الرجال يحملون السلاح مسخرين للخدمة العسكرية تحت قيادة شيخ القبيلة الذي بدوره يخضع لسلطة الأغا أو خليفة أو ضابط فرنسي والقوم لا يتقاضون راتبا شهريا وإنما يتلقون مساعدات غذائية وعسكرية مقابل خدماتهم»، يتضح لنا من خلال هذا التعريف إن فرقة القوم شكل



الكبرى، في مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد 13، مارس 42-Charle, Devaux, OP.Cit., p.47.

43- المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل أفريل 1973، الجزائر، ص 30.

الكبرى، في مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد 13، مارس، 55- لويس رين، المصدر السابق، ص. 637.

أفريل 1973. الجزائر، ص 30. 56-N, Robin, les» Imessebelen», in Revue Africaine, V18, année 1874, p.401.

44- سورة التوبة الآية 110.

45- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 6، الدار الذهبية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.ن، ص. 717. 57-A.Hanoteau et A.Letourneux, OP.Cit, T.II. p.74.

46- أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971، ص. 30. 58- عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش المسماة» لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال»، تق وتتح، ابو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 163.

59- الباي محمد الذباح هو محمد بن علي الملقب» بالذباح»، باي التيطري من سنة 1737 إلى غاية سنة 1755، قتل في معركة ضد المسلمين في نواحي بوغني ببلاد القبائل وذلك سنة 1755. للمزيد من المعلومات انظر كتاب

(Le Djurdjura A travers l'histoire)

49- صالح رايس الملك السابع هو موري ولد بالإسكندرية زمن حكم السلطان سليم، منها انتقل لتركيا فبلاد البربر، أين وضع نفسه في خدمة بربروس ليصبح حاكم الجزائر في سنة 1552، من ابرز أعماله استرجاع مدينة بجاية من الإسبان سنة 1555، إخضاع إمارة توقرت، مات في مرفأ مانيفو -تامنفوست حاليا- بالطاعون حيث كان ينتظر الأسطول العثماني ليتجه إلى وهران قصد استردادها من الإسبان وهو في عمر السبعون سنة. (لمزيد من المعلومات انظر هايدو، المصدر السابق، ص 97).

60- وقعت هذه المعركة حسب ما ذكره المؤلف «بوليفا» سنة 1755، وهذا عكس ما جاء عند الجنرال «هانوتو» الذي ذكر أن تاريخ معركته مع المسلمين كانت في حوالي سنة 1744 بصيغة التمرريض، بينما ذكرها «بوليفا» بصيغة التأكيد، لكن الرحالة الجزائري ابن حمادوش قد سبقهم فيذكرها في رحلته، حيث يعتبر معاصر للحادثة لذلك نرجح قوله علي ماورد في المصادر الفرنسية، و للمزيد من المعلومات انظر كتاب: رحلة ابن حمادوش الجزائري ص 163 و (Le Djurdjura A travers l'histoire)

61-Le Djurdjura A travers l'histoire, S.A.Boulifa, J.BringauImprimeuréditeur, - alger 1925, p.p.245- 252.

62-A.Hanoteau et A.Letourneux, OP.Cit, T.II. p.74.

63-N, Robin, op.cit., p.401

50- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 37.

51- ابو العباس احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ص 56-57.

52- نفسه، ص 57.

53- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 38.

54- المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل



78-N, Robin, OP.Cit., p.405.

64- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 34.

65-A.Hanoteau et A.Letourneux, OP.Cit, T.II. p.74.

66-N, Robin, op.cit., p403.

67-bid, P402.

68- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 35.

69- نفسه، ص. 35.

70-N, Robin, OP.Cit., p.405.

71-bid, p. 406.

72- لقد طبق هذا التقليد في حروب المسلمين ضد الفرس وكذا في ثورة الشيخ بوعمامة في الغرب الجزائري وثورة عمر المختار في ليبيا.

73- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 148.

74- الفورناسيونال أو حصن نابوليون هو حصن فرنسي كان في منطقة الأربعاء نايتايراتن،(أنظر لويس رين، مصدر سابق).

75- لويس رين، المصدر السابق، ص ص 395-397.

76- تذكرنا هذه المعركة التي خاضها المسلمون باستعمال السلام ، بتلك المعركة التي خاضها القائد خالد ابن الوليد عندما فتح دمشق، فبواسطة قذف هذه السلام استطاعوا دخول المدينة عنوة، لتتطور الحبال الى سلام تصنع من الخشب يضعها الجند في مكان آمن بالسور وبنفس الطريقة فتح القائد الزبير ابن العوام حصن بابلون في مصر، حيث احتار موضع امن وتسلق السلم، بعد ذلك تطورت صناعة السلم الخشبي حيث في الدولة الاموية أضيفت له قاعدة خشبية كبيرة تساعد على تثبيته في الارض وجعلوا للقاعدة بكرات من الخشب وعجلات ثابتة ليسهل نقله من مكان لآخر. لنزيد من المعلومات أنظر: وفيق الدقوقي، الجندي في عهد الدولة الأموية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1985، ص ص 235-236.

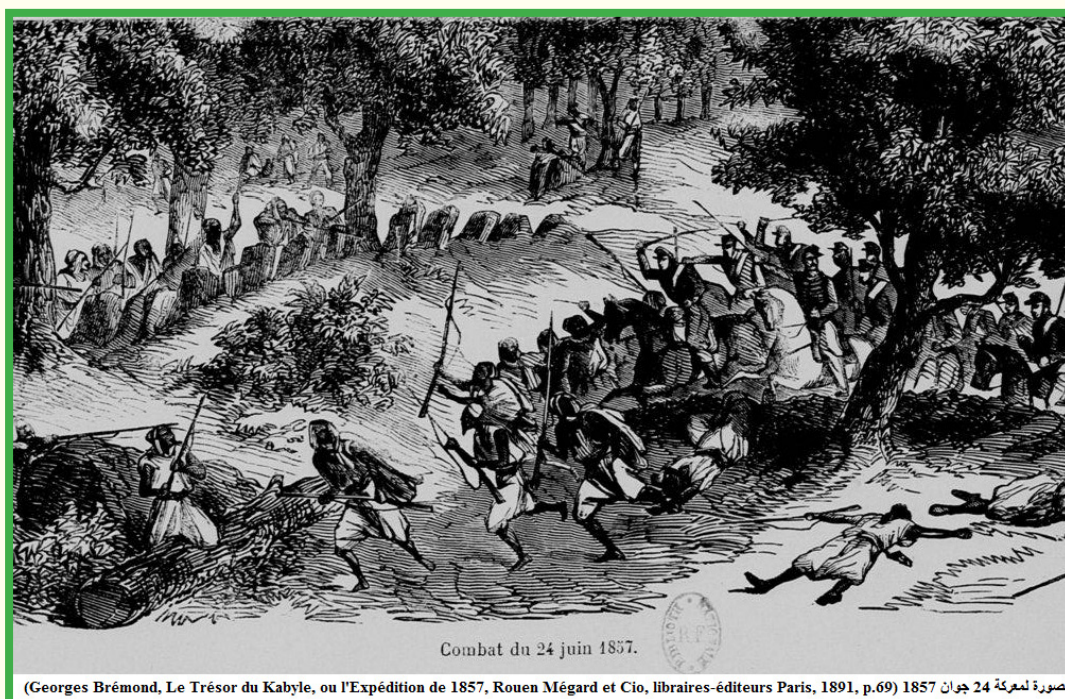
77- نفسه، ص ص 638-639.



ملحق الصور



ملحق 1



ملحق 2